مجلة الباحث
موقع المجلة: https://journals.uokerbala.edu.iq/index.php/bjh/

دور الخبراء الأجانب في البحرية العثمانية 1876-1908

امجد نعمة كيطان منسي الوزني
حاتم راهي ناصر الزوبعي

جامعة كربلاء – كلية التربية للعلوم الانسانية- قسم التاريخ

معلومات الورقة البحثية

تاريخ الاستلام 2025/5/4
تاريخ القبول 2025/5/21
تاريخ النشر 2025/7/24

الكلمات الرئيسية:

الخبراء الاجانب في البحرية العثمانية، هوبارت باشا، السير هنري فلكس وودز، كالاوفوم هوفي، ستاركي باشا، دوره في الحرب الروسية العثمانية، دوره في صناعة الطولربيد، التقارير التي ارسلها للسلطان.

المستخلص باللغة العربية:

المستخلص

إن توجه الدولة العثمانية للاعتماد على الخبراء الاجانب جاء نتيجة لفقر الدولة علميا وعدم اعتمادها على العلوم الحديثة ، ولم تواكب عجلة التطور ولذلك كانت الدولة العثمانية بأمس الحاجة لخبراتهم ، فضلا عن ذلك كانت الدولة العثمانية تحاول كسب ود بريطانيا للوقوف الى جانبها لمواجهة التحديات الخارجية ، ولما شعرت بعدم جديتها اتجهت الى المانيا لتنفيذ العمل ولكن كان دور الالمان مقتصر على الاستشارة فقط ، وعليه فالخبراء الاجانب قد ادو دورا مزدوجا خدمة لدولتهم الام بالمقام الاول من خلال رفع التوصيات بالتعاقدات على شراء الاسلحة وتادية العمل الاستخباراتي لصالح دولهم وهذا بدا واضحا عندما اعترضت بريطانيا على تعيين هوبارت باشا بالوضيفة بدون موفقة بريطانيا مما شكل نقطة خلافية ، لذلك كان دور الخبراء الاجانب في الدولة العثمانية مبني على اسس مصالحية قبل ان تكون اسس عملية وخدمية للدولة العثمانية ، فضلا عن ذلك حاولة الدولة العثمانية كسب ود الدول الكبرى من خلال استقدام الخبراء في مختلف المجالات العسكرية وليس البحرية فقط .

doi: xx.xxxx

1. المقدمة

اتجهت الدولة العثمانية في بداية القرن الثامن عشر الى اتباع اسلوب جديد يخلصها من الازمات المتتالية التي اصابت المؤسسة العسكرية بوجه عام، والبحرية بوجه خاص من خلال الاعتماد على الاساليب الحديثة في التطوير والتدريب وكونها لا تمتلك هذه المقومات اتجهت الى الاعتماد على الخبرات الاجنبية للنهوض بواقع المؤسسة البحرية التي اصابها الشلل لعدم مواكبتها للتطور والتحديث الذي نقل الدول المتقدمة الى مراكز بعيدة عن الدولة العثمانية لذلك كانت عملية الاعتماد على الخبرات الاجنبية السبيل الوحيد للخروج من الوضع الذي هي عليه ، فضلا عن ذلك كان التوجه نحو الدول الكبرى من قبل الدولة العثمانية في عملية التحديث هو لكسب ود تلك الدول ومحاولة ابقائها على وفاق معها لتجنب نفسها الحروب الكبرى اولا ،وللوقوف بجانبها في ضل الصراع الروسي العثماني ،والصراع اليوناني العثماني، ولتضمن دعمها في عدم الوقوف الى جانب الحركات الانفصالية التي تقودها ولايات البلقان، ونتيجة لذلك طرحت تساؤلات ؟ ماهي الادوار التي اداها الخبراء في الدولة العثمانية ؟ وهل كانت افكارهم واعمالهم ذا فائدة للدولة العثمانية ؟وماهي الوضائف التي شغلوها ؟ وهل كانت ادوارهم استشارية ام عملية او كليهما ؟

تضمن البحث مقدمة ومبحثين و خاتمة تضمنت اهم الاستنتاجات الي توصلت اليها الدراسة ، اذ تطرق المبحث الاول الى الخبراء البريطانيين ودورهم في البحرية العثمانية ، واستعرض المبحث الثاني الخبراء الالمان ودورهم

في البحرية العثمانية، فضلا عن الخاتمة التي من خلالها تمت الاجابة عن الاسالة المطروحة استنادا الى مجموعة من المصادر و الوثائق التي ثبتت في قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الاول

دور الخبراء البريطانيين في البحرية العثمانية (1876-1908)

اولا – اوضاع البحرية العثمانية قبيل استقدام الخبراء :

اعتباراً من بداية القرن الثامن عشر بدأت الدولة العثمانية بالاعتراف بتفوق اوروبا وأخذت أفكار اصلاح الدولة بالظهور وفقاً لنموذج اوروبا[1]، خصوصاً في فترة السلطان سليم الثالث (1761-1808) والسلطان محمود الثاني (1785-1839)[2]، كما اعتبر استقدام خبراء من اوروبا من أهم الخطوات اللازمة لنقل واستنساخ التكنلوجيا من هناك لتحسين الدولة[3] إذ أثبتت الدولة العثمانية عدم قدرتها على التكيف مع الظروف المتغيّرة أو فهم وتقبل التغير في التكنولوجيا الناشئة في اوروبا، ويرجع ذلك إلى فشلها في التغلب على المشاكل السياسية والاقتصادية في القرن الثامن عشر[4].

كانت هزيمة الجيش العثماني في معركة جشمه عام 1770 والتي اطاحت بالبحرية العثمانية من قبل الروس، درسا مهما دفع للسلطان مصطفى الثالث الذي حكم للمدة (1757-1774) ان يقرر تعليم وتدريب ضباط البحرية على التقنيات المعاصرة الحديثة وتم تعين البارون فرانسو دي توت (Baron De Tott) [5]، المهندس الفرنسي لتولي مهمة التدريب و التطوير[6]، وبفضل نشاطاته واهتمام حسين حسنوا باشا بتطوير البحرية العثمانية تم افتتاح حوض بناء السفن ترسانة الهندسة العامرة في الخليج وقد شكل ذلك اساساً للأكاديمية البحرية الحديثة، ومنذ ذلك الحين استعانت الدولة العثمانية بالخبراء الاجانب اذ شارك الخبراء الفرنسيين والسويديين والبريطانيين بانتظام في البحرية العثمانية وفي عهد السلطان عبد الحميد الثاني كان هناك اربعة خبراء أجانب رفيعي المستوى داخل البحرية العثمانية[7].

ثانياً:هوبارت باشا (Hobart- Hampden Augustus Chavles):

هو اميرال انكليزي ولد في 1 نيسان 1822 في مقاطعة ليسترشاير (Leicestershire) في بريطانيا، وهو ابن كونت باكينجهماشير (Bucking Hamshire) [8]، انظم إلى البحرية البريطانية في عام 1835 عندما كان عمره (13) عاماً فقط ، وقضى بقية حياته كبحار، وبعد خدمته في البحرية البريطانية في مناصب متعددة تم تكليفه في عام 1861م كقائد لسفينة فوكس هوند (Foxhound) إذ قضى عامين، ثم أصبح بعدها قائد للبحرية و استمر في المنصب حتى تقاعد[9]، وقرر بعد إحالته للتقاعد ان يتجه إلى مغامرة جديدة إذ ذهب إلى امريكا وشارك في الحرب الأهلية الامريكية إلى جانب القوات الجنوبية وحقق انتصارات كبيرة[10]، بعد أن انهى مهمته في امريكا قرر خوض مغامرة جديدة في عام 1867 نحو البحر الأبيض المتوسط، وفي ذلك الوقت كانت الامبراطورية العثمانية تواجه تمرداً يونانياً في جزيرة كريت، إذ كان الشعب اليوناني يحاول الحصول على جزيرة كريت وضمها إلى اليونان فكانت الفكرة الأولى لدى هوبارت باشا هو الانضمام والمشاركة في الصراع إلى جانب اليونان في كريت، إلَّا إن شقيق اللورد هوبارت كان مدير فرع البنك البريطاني في اسطنبول لم يرغب في أن يشارك شقيقه بالتمرد ضد الدولة العثمانية، لذلك بدأ يبذل جهوداً لانضمام هوبارت باشا إلى البحرية العثمانية بدلاً من اليونانية، ونجحت المساعي وتم تقديم عرض لهوبارت باشا للانضمام إلى البحرية العثمانية[11] .

أجرى الصدر الأعظم فؤاد باشا محادثات مع هوبارت باشا عام 1867، وكانت هناك نقاط مهمة في العرض المقدم لهوبارت باشا ومن أهمها أنه في حال تم قبول المهمة فإن الدولة العثمانية لن تتحمل المسؤولية عن أفعاله ضد شعبه والمخاطر المحتملة التي قد يشكلها هذا الوضع[12].

يتبيَّن من صيغة الاتفاق إن المفاوض العثماني كان مدرك لبنود العقد المبرم وكان على علم بأن بريطانيا لا توافق على استخدام الخبراء البريطانيين بدون مشورتها لذلك جعلت هذا البند في الاتفاق بأن يتحمل المسؤولية هو شخصياً، كما اكدت في البند إن من الممكن ان تدخل الدولة العثمانية حرب ضد بريطانيا فيتوجب عليه مقاتلة دولته الأم، فكانت قصة دخول هوبارت باشا في خدمة الدولة العثمانية مختلفة عن قصة توظيف أي خبير عادي، إذ أنه في الاحوال العادية تقوم الدولة بطلب خبير من دولة أوربية بكتاب رسمي ويبدأ الشخص الذي تختاره تلك الدولة بالخدمة في الدولة التي طلبته بأذن رسمي من الدولة الأم.

ونظراً لأنه كان شخصاً متمرداً يتصرف من تلقاء نفسه فقد انظم إلى البحرية العثمانية دون أن يمر بعملية توظيف رسمية، وحاولت بريطانيا التدخل لمنع ذلك ولكنها لم تنجح[13] ، كان على هوبارت باشا أن يستشير رؤساءه في بريطانيا قبل قبول عرض الحكومة العثمانية، ولكنه أهمل ذلك خاصةً بعد تقاعد السير ادولفوس سالد (Sir Adolphus Salde) [14] ، الذي كان يشغل منصب مستشار في البحرية العثمانية قبله، إذ تم تقديم العديد من الطلبات لهذا المنصب من قبل البحّارة البريطانيين، في مقابل ذلك كانت البحرية البريطانية تبذل جهوداً كبيرة لاختيار شخص مناسب لهذا المنصب، ولكن دخول هوبارت باشا بمبادرة شخصية وبقرار منفرد أثار استياء اللوردات البريطانيين وعلى اثر ذلك قاموا باستدعائه وطالبوه بالعودة إلى بلاده فوراً، وبالرغم من لغة التهديد هذه أعلن هوبارت باشا رفضه لآرائهم وأكد بوضوح أنه يبقى في خدمة الدولة العثمانية[15].

إن بريطانيا كانت قد زرعت وأسست نظام استخباراتي قوي داخل البحرية وباقي مفاصل المؤسسة العسكرية العثمانية وذلك من خلال رفض تولي هوبارت باشا لمهمته الجديدة بدون موافقتهم؛ لأنه في هذه الحالة يكون بعيد عن الجانب البريطاني وبالتالي لا يؤدي الخدمة التي تعول عليها بريطانيا من نقل الاخبار والاحداث التي تجري داخل المؤسسة البحرية العثمانية.

باشر هوبارت باشا عمله وذهب برفقة الصدر الاعظم علي باشا إلى جزيرة كريت وما أن وصل حتى دخل في مواجهه مع سفينة فرنسية كسرت الحصار المفروض على كريت واجبرها على التراجع ومغادرة المنطقة[16]، حيث كان على دراية كاملة بالقوانين الدولية البحرية وعلى أثر ذلك استفاد دبلوماسياً من اطلاق سفينة يونانية تدعى انوسيس (Enosis) النار على سفينة عثمانية في ميناء سودا، إذ نجح في القضاء على السفينة وابعاد المساعدات اليونانية القادمة إلى كريت من ميناء سودا، وهكذا استمرت حركة التمرد في كريت في عصيانها بدون دعم خارجي لمدة اسبوع فقط وبعد ذلك انتهت تدريجياً[17]، وبعد هذه الحادثة منح لقب اميرال من قبل السلطان العثماني[18].

إنَّ التأثير الأول والأهم لهوبارت باشا في البحرية العثمانية كان في مجال الدفاع عن قواعد القانون الدولي وحقوق الدولة على الرغم من أن الباشوات العثمانيون كانوا على حق من الناحية القانونية، إلَّا أنهم بسبب عدم معرفتهم بالقوانين والعلاقات الدبلوماسية كانوا احياناً يتبنون مواقف غير محقة امام الاجانب، إلَّا أن هوبارت باشا قلب هذا الوضع بفضل خبرته الواسعة وحقق انتصارات دبلوماسية متتالية امام القادة الاجانب[19].

بعد نجاحه في كريت عاد هوبارت باشا إلى اسطنبول وتعمق دوره في القوات البحرية يوماً بعد يوم، ونقل توصياته إلى السلطان العثماني بشأن التحديثات التي يجب اجراؤها وقدّم افكار حول الإصلاحات وعمليات الشراء، وفي اذار 1871 تم تمديد عقده من خمسة سنوات إلى عشرة سنوات، وفي تشرين الثاني 1876 صرّح بأن مدة خدمته قد شارفت على الانتهاء وطالب بتمديد العقد لمدة عشرة سنوات أخرى وتم قبول الطلب على الفور[20].

شغل هوبارت باشا مناصب هامة في قيادة البحرية العثمانية وشارك في الحرب العثمانية – الروسية 1877-1878، ورفض الاستقالة من وظيفته بناء على طلب بريطانيا للحفاظ على حيادها الذي أعلنت عنه منذ البداية، معتبراً طلب بريطانيا هذا يخالف ضميره وإنه غير ملائم من الناحية الاخلاقية ولهذا رفضه[21] ، كانت جهود هوبارت باشا في البحر الأسود تتمركز على منع سفن البريد الروسية من الدخول إلى البحر؛ لأنها كانت تتصرف كسفن حرب بدلاً من تأديتها للأنشطة الاعتيادية للبريد مما يشكل خطراً كبيراً على القوات العثمانية، نجح في أداء هذه المهمة بفعالية عالية إذ حافظ على سلامة البحر الأسود من القوات الروسية[22].

استطاع أحكام سيطرته على البحر الأسود حتى انه استطاع مطاردة اليخت الخاص بالقيصر الروسي عندما كان هوبارت على متن سفينة آثار التوفيق وصادف اليخت ليفاديا (Livadia)، إذ كان يعلم إن مصادرة اليخت والاستيلاء عليه يثير ضجة كبيرة، وفي نهاية المطاردة نجح اليخت في اللجوء إلى سيفاستبول (Sivastopol) والاحتماء هناك فكان لهذا الحدث أثر كبير على شهرته[23] ، اذ كان الروس يدركون أهمية منطقة ميناء سودا (Souda port) الموجود في جزيرة كريت لما تتمتع به من أهمية استراتيجية كبيرة، ولكن استطاع هوبارت باشا بفضل حنكته العالية وبصيرته الحادة من صد هجمات التوربيد التي شنت على المنطقة، وبعد ذلك لم يحقق الروس أي نجاح في الهجمات غير المنتظمة التي قاموا بشنها لاحقاً[24]، النقطة الأكثر استراتيجية بعد ميناء سودا، هي باتومي (Batume)[25] التي كانت بالنسبة للروس الهدف الرئيس في الحرب، وهو أمر مهم للغاية؛ بسبب موقعها الجغرافي المطل على سواحل البحر الاسود، حتى أن هوبارت باشا ذكر إن الهدف الاساسي للروس هو السيطرة على باتومي[26].

بعد النجاحات التي حققها هوبارت توجه إلى باتومي، إذ وجد طرقاً ذكية لمواجهة طوربيدات وايت هيد التي كانت ما تزال غير معروفة في العالم وترك الروس عاجزين امام طريقة دفاعه عن المدينة إذ اطفأ الأنوار ليلاً مما جعل المدينة تتحول إلى مدينة أشباح وبالتالي فشلت روسيا من تحقيق النجاح في عمليتها[27]، استطاع هوبارت باشا منع حدوث كارثة اوشامشير(Ochamchire)[28]، والتي تعد آخر نجاحاته في حرب عام 1877-1878، إذ استطاع كسب القوات العثمانية التي ذهبت إلى المنطقة لمساندة التمرد الشركسي ضد روسيا في منطقة اوشامشير ومع ذلك واجه الجنود العثمانيين صعوبات كبيرة وكادوا يتعرضون لخطر القائهم في البحر من قبل الروس، وحالما تلقى درويش باشا هذا الخبر أمر هوبارت باشا بالذهاب إلى المنطقة، وعندما وصل مع قواته كان هناك قتال بين المدافع الروسية والقوات المدرعة العثمانية، واضطرت القوات الروسية إلى التراجع لدى رؤية هوبارت باشا وقواته[29]، وأستطاع نقل الجنود العالقين خلال 24 ساعة في مقابل ذلك لم يتمكن الروس من شن هجوم بل قبلوا هروب الجيش العثماني من المنطقة بدلاً من مواجهة هجوم جيش مدرع مرة اخرى، فلولا تدخل هوبارت باشا لوقعت خسارة كبيرة في الجيش العثماني[30].

حصل هوبارت باشا على ترقيات مختلفة نظير انجازاته البارزة في الحرب العثمانية – الروسية بالرغم من خسارة الدولة العثمانية الحرب، إذ حصل على لقب مشير في عام 1881، فضلاً عن ذلك تم تعيينه رئيساً لهيئة الاركان البحرية[31]، أصيب في عام 1886م بمرض الربو الرئوي ولما سمع السلطان عبد الحميد بذلك وافق على

استمرار دفع مستحقاته حتى وفاته في إيطاليا اثر نوبة قلبية في 18 حزيران 1886م، وأظهر ولائه للدولة العثمانية إذ ذكر في وصيته إن يدفن في اسطنبول مقبرة البروتستانت وبمجرد ان علم السلطان بذلك ارسل سفينة إلى إيطاليا وجلبه وتم تشييعه على انه قبطان عثماني[32].

ثالثاً: فترة ودز باشا Sir Henry Felix Woods :

ولد السير هنري فليكس وودز في مدينة جوري (Gorey) التابعة لجزيرة جيرسي (Jersey) احدى الجزر التابعة لبريطانيا، وكان يتجنب ذكر عائلته وحياته الشخصية في كتابه [33] ، بدأ ووذر تلقي التدريب البحري عندما كان عمره لا يزيد عن عشر سنوات في المدرسة العليا لمستشفى غرينتش (Upeer School Of Greentich Hospital) والتي كانت ناجحة جداً في تدريب البحّارة، بعد ذلك انظم رسمياً إلى البحرية البريطانية في عام 1858م على متن السفينة رولو (Rollo)، وتعتبر اول مكان عمل فيه، وبعد ذلك عمل في الاسطول البريطاني المتمركز في غرب افريقيا في المدة ما بين 1860- 1866م، ونقل فيما بعد خدماته إلى الاسطول البريطاني في مناطق الشرق الاقصى[34]، وبعد عودته إلى بريطانيا عام 1866م عُيَّن في سفينة كاردوك (Caradoc) التي كانت مخصصة للسفير البريطاني في استانبول، ومن خلال عمله هناك تعرّف للمرة الأولى على الدولة العثمانية وكوّن صداقات وعلاقات متينة مع الطبقة العُليا في الدولة العثمانية[35]، وفي عام 1867 عندما وصل إلى استانبول كقائد للسفينة كاردوك تم تعيينه في لجنة تشكلت لفحص حطام السفن عند مدخل مضيق البوسفور لمعرفة الخسائر بالأرواح والمعدات في هذا المضيق[36]، قام وودز بتنفيذ فكرته بعد موافقة السلطات العثمانية وجلب ركيزة المنارة من بريطانيا وتثبيتها في مدخل المضيق وتابع المشروع بنفسه لضمان نجاحه[37].

طلب السلطان عبد العزيز من بريطانيا في عام 1867م عندما كان في رحلة اوربية تعيين اميرال بريطاني في مهمة بحرية تحت اشرافة لخدمة الدولة العثمانية، ولكن بريطانيا لم تستجب للطلب على الفور، ولكن عندما تم تكرار الطلب بعد غزو جزيرة كريت وافقت بريطانيا، خاصةً بعد نجاحات هنري وودز في مشروع المنارة العائمة وتم التأكيد في الطلب على ان يكون وودز هو الاميرال، ورداً على ذلك تم تكليف وودز باشا والمعلم البحري مورسيس بالعمل في خدمة الدولة العثمانية بموجب المرسوم الذي اصدره السلطان العثماني في21 كانون الثاني 1870م، وعلى اثره بدأ وودز خدمته في البحرية العثمانية[38].

نشاطه في المدرسة البحرية العثمانية:-

اصدر السلطان عبد الحميد الثاني مرسوم في 21 كانون الثاني 1870 تولى بموجبه السير هنري فليكس وودز مهامه في المدرسة البحرية العثمانية في هيلبادا (Heybeliada) وامضى فيها اربعة سنوات كاملة وقام بإعطاء الدروس النظرية والعملية للطلبة المتواجدين فيها، وطلب من الإدارة العليا استقدام معلمين آخرين من بريطانيا[39]، مما سبب خلاف مع ميرلوا حاجي علي باشا مدير المدرسة البحرية حول اليه التعليم؛ لأن الاخير حاول جاهداً التركيز على قيادة السفن و ان التعليم يقتصر فقط على القبطان اما الطلاب فلا يتم تعليمهم وإنما يستمدون تعليمهم من قبطان السفينة، اما وودز باشا فعمل على تعليم الطلاب وفق مناهج معينة يتم تدريبها في بريطانيا لكي يتخرج طلاب المدرسة البحرية وهم على دراية كاملة بكل جوانب البحرية[40].

بعد انتهاء مدة الاربع سنوات في المدرسة البحرية العثمانية انتقل وودز باشا ليعمل مدرساً ملاحياً على متن سفينه تعليمية كانت راسية في ميناء سودا في جزيرة كريت، استقلها وقام برحلة استكشافية دراسية حول سواحل افريقيا وصولاً إلى تونس ومن ثم العودة إلى استانبول فكانت اول رحلة دراسية لطلاب المدرسة البحرية العثمانية وبذلك استطاع تحويل الدراسة من النظري إلى العملي فعلياً[41]، اعطي وودز باشا سفينة جديدة ليكمل عملية التدريس والتدريب أهدتها الحكومة الامريكية الى السلطان عبد الحميد بعد سنوات قليلة من بنائها في امريكا[42]، وأول مهمة لها كانت رحلة استطلاعية من اسطنبول إلى الهند عن طريق بور سعيد، ومن بعدها إلى البحر الاحمر، توقف وودز باشا في ميناء الحديدة[43]، وبعدها في جزيرة كَـمران[44]، ومكث فيها اكثر من شهر، وعمل على تعليم الطلاب المرافقين له على رسم الخرائط البحرية، إذ قام بتدريسهم نظرياً وعملياً[45]، واكمل وجهته وذهب في رحلته التعليمية الاستكشافية إلى الهند وكراتشي وبومباي وانتهت الرحلة في عام 1875 وعاد بعدها إلى اسطنبول ليكمل عمله في المدرسة البحرية العثمانية[46] .

عمل وودز باشا في المدرسة البحرية العثمانية على تطوير صناعة الطوربيد؛ لأنه أدرك مدى اهميته والاعمال التي يؤديها تعجز عنها باقي الاسلحة البحرية، ولكنه واجه عقبة كبيرة وهي عدم إيمان قادة البحرية العثمانية بقوة السلاح الجديد، ولكن الحرب الروسية – العثمانية اظهرت فيما بعد خطأ تفكيرهم كذلك اهملت الوزارة طلبات وودز باشا بشراء الطوربيدات[47]، وقدّم العديد من التقارير حول اهمية صناعة الطوربيد وكيفية استخدام زوارق الطوربيد مع رسم صورة لها، موضحا انه قد تمت اضافتها كسلاح جديد في البحرية البريطانية بأعداد قليلة قاربين أو ثلاثة؛ لأنها حديثة، ولصغر حجمها قد تم اضافتها إلى السفن البريطانية الكبيرة لاستخدامها وقت الضرورة، وتم تقديم التقرير إلى القبطان باشا في 18 حزيران 1876[48]، ولمّا اقتربت الحرب العثمانية – الروسية من البدأ تلقى وودز باشا برقية تبلغه بالحضور إلى قسم المدفعية لحضور اجتماع مجلس الحرب، وسُئل خلال الاجتماع عمّا إذا كان بإمكانه توفير قذيفة طوربيد لتفجيرها في مضيق البسفور؟ فأجابهم بنعم فتلقى على اثر ذلك

اوامر بتوفير القذيفة في مقابل ذلك طلب وودز باشا منحه الصلاحيات اللازمة للحصول على كافة انواع المستلزمات والمواد فحصلت الموافقة وتمت المباشرة والعمل وبالفعل استطاع انجاز العمل فتم زراعة اللغم الطوربيدي في المكان المحدد وعند التفجير عن بُعد ولأول مرة حصل انفجار مذهل لدرجة ان احد الباشوات قد صرخ بصوت عالٍ من شدة الانفجار[49].

يقول وودز باشا في مذكراته إن تفجير اللغم في مضيق البسفور حقق نجاحاً كبيراً وإن تداعيات هذه الحادثة وصلت إلى كل مكان حتى إن الروس ابدوا احتراماً كبيراً واهمية عالية للطوربيدات الدفاعية، وبعد نجاح التجربة الأولى عمل وودز باشا على تجربة اخرى قرب المدرسة البحرية امام اعين السلطان عبد الحميد الثاني، وبالفعل تم احضار السفينة الخشبية القديمة وقام بأعداد الطوربيد وبعد وصول السلطان إلى المكان المحدّد قام وودز باشا بتفجير السفينة الخشبية فحدث انفجار هائل ولم يتبقى من السفينة إلا قطع صغيرة متناثرة حتى ان المدرسة البحرية والجامع المجاور لها قد تحطمت نوافذهما من شدة الانفجار، ويعتبر ذلك بالنسبة لوودز انجازاً كبيراً وابدا السلطان ارتياحاً من التجربة وامره بالمواصلة في العمل[50].

دوره في الحرب العثمانية – الروسية 1877-1878م:-

بعد الاختبارين الناجحين للطوربيد في مضيق البسفور وبحر مرمرة، أُمر وودز باشا بإعداد خطط للدفاع الساحلي وبدأ العمل بوضع الخطط المناسبة من خلال زرع الالغام البحرية وطور نوع جديد ينفجر عند التلامس، وأُرسل لوضع طوربيد في ميناء سالونيك في ايلول 1876، وبالفعل نجح بزراعة الالغام البحرية لمنع احتلالها، كما انه صنع الغاماً صغيرة تنفجر عند الضغط عليها ووضع بعضها بين الشاطئ والمستنقعات، ووضع الغاما اخرى على جانبي المضائق ولمنع اي هجوم مفاجئ منها قام بزرع الغاماً عند مداخلها[51] .

هاجمت روسيا مدينة سالونيك بحرياً ولكنه لم ينجح ويعود الفضل في ذلك إلى وودز باشا الذي كان على دراية كاملة بما يعمله من خلال خبراته السابقة وما توصل إليه من خلال التجارب التي اجراها على حطام الطوربيد الروسي، إنه لا ينجح الهجوم بالطوربيد إلَّا من مسافة قريبة وبالتالي كانت فكرة زراعة الالغام البحرية هي فكرة ناجحة في منع القوات البحرية الروسية من التوغل واكتفت بهجوم المدافع البحرية البعيدة[52] ، قدم وودز باشا خدمات كبرى للبحرية العثمانية خلال الحرب؛ وذلك من خلال نشر الاخبار الكاذبة ضد الروس بناءً على علاقاته مع الصحف الكبرى في لندن خلال السنوات التي استمرت فيها الحرب مع الروس، إذ يذكر في مذكراته انه لم يغفل اعطاء الكثير من المعلومات الملفقة للمراسلين حول حقول الالغام التي لا يوجد فيها الغام ووجود طوربيدات كبيرة وبالحقيقة لم تكن متوفرة، ويقول انه في المناطق التي نشر فيها خبر زرعها بالالغام اعتاد تفجير الالغام امام المراسلين والاشخاص الذين يشتبه في انهم جواسيس حرب وذلك لمنع كشف الخدعة ويجعل الروس يشعرون بالخوف من خوض المعركة واطلقت عليه الصحف البريطانية والروسية اسم سيد الالغام[53].

يتضح من خلال ما سبق إن وودز باشا حاول جاهداً ابقاء القيمة الحقيقية للألغام كسلاح دفاعي مهم في الحرب العثمانية – الروسية.

كان علم وودز باشا بالقوانين البحرية العالمية له فائدة كبيرة للدولة العثمانية خلال الحرب، إذ تم تعيينه عضواً في محكمة الشؤون البحرية التي انشأت لمحاكمة من لم يلتزم بشروط الحصار الذي فرضته السفن العثمانية على السواحل والموانئ الروسية في البحر الاسود، إذ كانت السفن التي ترفع اعلام دول اخرى وتحمل المواد الغذائية كالقمح وغيره، وتمر عبر مضيق البسفور وتتجه الى الموانئ الروسية، وبما انها حالة حرب وكانت شروط الحصار صحيحة فقد تم القبض على تلك السفن على الفور، ومن ثم تقديمها إلى المحكمة وتخضع تلك السفن واصحابها إلى محاكمة علنية، وعلى اثر ذلك قامت ايطاليا واليونان بالمطالبة بسفنهم المحتجزة بطريقة غير قانونية فكان لدراسة وودز باشا بالقوانين البحرية العالمية له الاثر في رد طلب إيطاليا واليونان بالسفن واعتبرت تلك السفن بحمولاتها كغنائم حرب[54].

دور وودز باشا في صناعة الطوربيد:-

عندما يُذكر وودز باشا بين اسماء المستشارين الذين خدموا في البحرية العثمانية يتبادر إلى الاذهان انشطته التي بذلها لنشر هذا السلاح في البحرية العثمانية، إذ اشتهر بعمله في مجال الطوربيدات اكثر من اي شيء آخر، حتى انه أَلَّف كتاب حول صناعة الطوربيد وتم ترجمته ونشره من قبل دار الطباعة البحرية العثمانية[55].

لعبت الصدفة دورها في حياة وودز باشا المهنية، إذ لم يتفجر احد الطوربيدات من شركة (وايت هيد) التي تعتبر من اقوى الاسلحة التي استخدمت ضد هوبارت باشا، إذ طلب الطوربيد الذي لم يتفجر وقام بتفكيكه وهو بذلك قد حصل على سر تقني هائل وحديث جداً بدون ان يدفع ثمناً باهضاً لقاء هذا الأمر، وعندما علم مسؤولو وايت هيد بالأمر حاولوا العودة إلى استانبول لاسترجاع الطوربيد ولكنهم اصيبوا بخيبة امل عندما علموا بتفكيكه وفحصه، وعلى أثر ذلك قدمت الشركة عدة شحنات مجانية إلى الدولة العثمانية وخصومات على الطلبات اللاحقة مقابل إعادة الاجزاء الخاصة بالطوربيد[56].

استطاع وودز باشا من خلال الطوربيد الذي تحصل عليه من دراسته دراسة مستفيضة واستطاع الدخول إلى كل ادواته قبل ان تسترجع الشركة اجزاء الطوربيد وعمل على تدريس ضباط البحرية العثمانية كيفية انتاج هذا

السلاح المهم والفتّاك وأخذ بإعطاء الدروس المكثفة واستطاع صناعة نموذج من الطوربيد الكهربائي الموجّه للمرة الاولى واعتمد في تصنيعه على شراء المواد من بريطانيا حصراً وبالتالي نجح في صناعة الطوربيد واستعمله في مضيق البسفور[57]، بعد النجاح الذي حققه حصل على وسام المجيدية من الدرجة الثانية ومنح الوسام بناءً على الخدمات الجليلة التي قدمها للبحرية العثمانية ومنح الوسام بناءً على طلب وزارة شؤون البحرية[58]، ونتيجة للنجاحات التي حققها في صناعة الطوربيد تم تكليفه لإعطاء دروس لطلاب المدرسة البحرية في 16 آب 1886 إذ جاء في التقرير انه نظراً للأهمية الفائقة التي اكتسبتها صناعة واستخدام الطوربيدات، ينبغي تدريس علم الطوربيد لطلاب الاكاديمية البحرية، وتم إضافة علم الطوربيد إلى مناهج المدرسة البحرية التي تم تعيينه مديراً لها[59].

إن حياته بعد عام 1886م كانت تشير وفق الترقيات التي حصل عليها انه كلف بمهام ومناصب عسكرية واستشارية مهمة ففي تشرين الأول 1886م تم تكليفه بمهام مستشار ومساعد للسلطان في مجال البحرية[60]، وقدم العديد من التقارير والتوصيات التي كانت تقدم مباشرة إلى السلطان، إذ اظهرت تلك التقارير انه على دراية كاملة بالبحرية، وفي 18 كانون الأول 1890 أشار إلى الاستفادة الناجحة للطلاب الذين اكملوا دراستهم في علم الطوربيد يمكن ان تتحقق فقط من خلال التطبيق العملي لهذا العلم، واقترح محطة تدريب الطوربيد في مرفئ (ترسانة) ازمير، وايضاً بسبب اعتقاده بأن استخدام الطوربيدات بنجاح يتطلب تدريباً في سن مبكرة اقترح ان يتم تدريس الضباط الصغار على استخدام الطوربيدات[61].

حصل في خريف عام 1896م على عضوية هيئة التفتيش العسكري العليا وهي تعتبر أعلى مؤسسة تفتيشية في الدولة وكانت الوظيفة ذات اهمية كبيرة؛ لأنها عكست الثقة المتزايدة فيه داخل الدولة العثمانية[62]، وبعد الانقلاب الذي اطاح بحكم السلطان عبد الحميد عام 1908 فقد وودز باشا شعبيته عند الاتحاديين تدريجياً وهو كان على علم بالتطور التكنلوجي الذي حصل في بريطانيا وفرنسا وروسيا، وقدم خطة مدروسة كاملة من اجل التطوير ولكن الاتحاديين ابعدوه تدريجياً عن مصدر القرار حتى تم ابعاده وإخراجه من البحرية عام 1911م، وانقطعت علاقته مع الدولة العثمانية نهائياً عام 1914م، وبذلك انقطعت فترة وودز باشا التي استمرت 42 عام من الخدمة في البحرية العثمانية[63].

يمكن القول إن السير هنري فليكس وودز الذي وصل إلى استانبول عام 1869م وخدم في الدولة العثمانية قرابة 42 عام تم الثناء عليه مراراً من قبل السلطان عبد الحميد الثاني وساهم في اتخاذ خطوات كبيرة لصالح البحرية العثمانية فضلاً عن ذلك كان مخلصاً للدولة العثمانية وحاول الدفاع عنها دبلوماسياً حتى النهاية كذلك في الفترات الحرجة للبحرية العثمانية مهد الطريق وفتح الباب امام التحديث وقام بكل ما في وسعه لإنشاء قوة بحرية تتبع المعايير الدولية وخاصةً الاوربية، ولكنه كان يواجه عقبة عدم الأخذ بالتقارير التي يرفعها فضلاً عن ذلك كانت البحرية العثمانية لا تتلقى الدعم الكافي مالياً من أجل التطوير.

المبحث الثاني

دور الخبراء الالمان في البحرية العثمانية (1876-1908)

اولا: فترة ستاركي باشا Starcke Pasha :

حاولت الدولة العثمانية الاعتماد على ضباط دول اخرى غير بريطانيا فأرسلت وفد إلى ألمانيا من اجل الحصول على خبراء في المجال العسكري والبحري، فكانت ألمانيا مستعدة مثلما كانت بريطانيا لإعادة تنظيم الجيش العثماني وخاصةً بعد الحرب العثمانية – الروسية 1877-1878[64]، فضلاً عن ذلك ان السلطان عبد الحميد الثاني كان قد فقد الثقة ببريطانيا وفرنسا بعد الحرب الاخيرة وكان يعتقد إن المانيا اقل ضرراً من فرنسا وبريطانيا[65].

وصل الوفد الألماني إلى الدولة العثمانية في عام 1882م وضم خبراء في الجيش البري ولكن السلطان طالب ايضاً بخبراء بحريين، وطلب من السفير الالماني في اسطنبول ارسال برقية إلى المستشار الالماني من اجل الموافقة على ارسال ضباط بحريين، وبناءً على الطلب المقدم من قبل السلطان، ارسل السفير الالماني تقرير إلى المستشار الالماني اتوفون بسمارك، وكتب في التقرير أنه لا يتوقع اي فائدة عملية من تعيين ضابط ألماني لتنظيم البحرية العثمانية لانها تعتمد على السفن القديمة، ولكن المانيا كانت مهتمة بذلك لتعزيز مكانتها لدى الادارة العثمانية، وقامت بأرسال ضابط بحري إلى الدولة العثمانية وتمت الموافقة في 15 تموز 1884م وابلغت وزارة الخارجية الألمانية الدولة العثمانية بموافقة الامبراطور الألماني على ارسال الرائد البحري ستاركي للعمل كمستشار في وزارة البحرية العثمانية[66]، وُقِعَ العقد بين ستاركي من جهة ووزير الخارجية العثماني وزير الشؤون البحرية من جهة اخرى في واحد تشرين الثاني 1884، وبموجب العقد الذي يتكون من عشرة بنود، دخل ستاركي البحرية العثمانية برتبة ميرلوا وحصل على راتب سنوي قدره 2800 فرنك في السنة، وتم تحديد مدة العمل وهي ثلاث سنوات بناءً على موافقة الطرفين، وإذا تعرض للإعاقة اثناء الخدمة في البحرية العثمانية يمنح راتباً تقاعدياً مدى الحياة وبما يعادل ثلث راتبه الذي يتقاضاه، وإذا عمل ضد مصلحة الدولة العثمانية فيتم فصله وانهاء عقده، واعتبر العقد ساري المفعول اعتباراً من 21 كانون الأول 1884[67]، بدأ ستاركي التدريس في الاكاديمية البحرية وبعد مدة تم تعيينه مساعداً لمدير المدرسة البحرية ومفتشاً عاماً للإصلاح البحري العثماني[68].

التقارير التي رفعها ستاركي إلى السلطان:

التقرير الأول: ارسل في 8 شباط 1885 تقريرا أوضح فيه إن المدرسة تستوعب ما بين (250-300) طالب ولكن في حقيقة الأمر لا يوجد سوى (150) طالب فقط وهذا الرقم قليل جداً بالنسبة لطموحات الدولة العثمانية وإن الدولة يجب ان توفر بيئة مناسبة لاستقطاب الطلاب، والظروف الحالية للمدرسة البحرية لا تجذب العائلات الراقية وذكر إن غالبية طلاب المدرسة البحرية هم من الطبقة الفقيرة في المجتمع، ويجب الترويج للمدرسة لكي تستقطب فئات اكثر واعداد اكبر من خلال توفير بيئة ملائمة وإجراء تحسينات داخل المدرسة في كل المرافق سواء الخدمية أو التعليمية أو المعيشية، وذكر في تقريره يجب على الدولة العثمانية إن تحاول لفت انتباه كل فئات المجتمع حتى تجعلهم يتحمسون لأرسال ابنائهم إلى المدرسة[69]، ويجب إن يتدرب طلاب المدرسة البرية والبحرية على نحو متساوي من الكفاءة فضلاً عن ذلك اكد على وجوب جعل الترقيات متساوية بين المدرسة البرية والبحرية حيث يذكر إن الرتب العسكرية البرية تتغير إلى الاعلى كل ست سنوات أو سبعة بينما في البحرية كل ثلاث عشر سنة وهذا من شانه ان يسبب نظرة سلبية على المدرسة البحرية العثمانية[70]، وذكر إن هناك سبب آخر لانخفاض اعداد الطلاب في المدرسة البحرية وهو الفارق الطبقي، إذ إن اغلب عمال وطلاب المدرسة البحرية هم ابناء من يعملون في احواض بناء السفن ويرى انه من الضروري فتح مدارس بحرية اخرى واستقطاب اعداد اكبر من العائلات المرموقة في المجتمع العثماني، وأكد على ضرورة اعطاء دروس الهندسة في السنة الاخيرة من الدراسة في المدرسة البحرية[71].

التقرير الثاني: قدّم المستشار الالماني تقرير آخر في نهاية شباط 1885م أكد فيه على شراء عدد قليل من عبارات النقل والقيام ببيع السفن القديمة عديمة الفائدة أو تذويبها واستخدامها في ترسان اميري مرة ثانية وتوفير استخدام الفحم في البواخر عن طريق شراء جهاز جديد تم اختراعه في المانيا[72].

بعد انتهاء مدة العقد الأول والتي كانت ثلاث سنوات تم توقيع عقد ثاني لثلاث سنوات إضافية وتم ذلك في 29 كانون الأول 1887 وينتهي في نهاية كانون الاول 1890 ،وبعد التجديد الثاني تبين ان ستاركي لم يعد مؤثراً كما كان في الفترة الاولى والسبب في ذلك يعود إلى إن الدولة العثمانية في وضع اقتصادي سيء وتواجه صعوبة في دفع رواتبه الشهرية، فضلاً عن ذلك عدم تلقيه أي رد من الإدارة العثمانية على الأفكار التي قدمها في تقاريره السابقة[73].

قدم ستاركي تقرير في عام 1890 أكد فيه على عدم جهوزية البحرية العثمانية لأي معركة بحرية جديدة وأكد على ضرورة شراء سفينتين حربيتين مدرعتين وسحب السفن الحربية المتواجدة في الخليج العربي إلى اسطنبول وأكد على الاستعداد لحرب محتملة مع اليونان إلا ان هذا التقرير بما يحمل من توصيات وتحذيرات لم يعمل بها[74].

يمكن ملاحظة إن التقارير التي قدمها ستاركي تضمنت قضايا مهمة ومفيدة بالفعل للبحرية العثمانية ولكن لم يتم بتنفيذ اي منها وهذا يرجع إلى عدّة اسباب منها الاقتصادية ومنها الإدارية حيث بين إن الادارة البحرية كانت سيئة في إدارة المؤسسة البحرية مما جعل ستاركي في سنوات عقدة الاخيرة غير انتاجي ولا يعطي اهمية كبيرة للمهمة الموكلة اليه حتى انه طلب عدم تجديد العقد بنفسه، فضلا عن ذلك مهمته كانت استشارية فقط على العكس ممن سبقوه ،اذ لم يتسلم اي منصب اداري او عسكري مما ادى الى قلة فاعليته في البحرية العثمانية.

ثانيا: دور كالاوفون هوفي في البحرية العثمانية:

بعد مغادرة ستاركي باشا الدولة العثمانية، كان كل من الجانبين يرغب فوراً في تعيين مستشار أو خبير في المنصب الشاغر واقترحت الإدارة الألمانية تعيين الادميرال المتقاعد فون فيرز (Tümamiral Von Emeral) بدلاً من ستاركي باشا، وكان الاقتراح في الواقع الاكثر قبولاً؛ لأنه يتمتع بعقلية فذّه وبدا مناسباً للمهمة الموكلة إليه في اسطنبول، ولكن قوبل العرض الألماني بالرفض من قبل نظارة البحرية العثمانية لأسباب غير منطقية ومنها بسبب رتبته العالية وتكاليفه المالية العالية وخوفهم من ان يكشف انشطة الخبراء الاجانب في البحرية العثمانية، وبناءً على الطلب العثماني تم ارسال الرائد في البحرية الالمانية كالاو فون هوفي الى الامبراطورية العثمانية، إذ وصل إلى استانبول في 21 شباط 1892 ووقع عقداً مدته ثلاث سنوات وتمت ترقيته على الفور إلى رتبة عقيد مير الاي [75].

كانت مهام كالاوفوم هوفي في الامبراطورية العثمانية محددة كما كان الحال مع ستاركي باشا، بالرغم من انه بدأ مهامه في شباط إلا انه بدأ العمل الرسمي والفعلي في أيار من نفس العام، وطلب منه في بداية مهامه تنظيم المدرسة البحرية وسارع فوراً بالعمل على مهامه، فضلاً عن ذلك قام بإعطاء الدروس في المدرسة البحرية، وشارك في لجنة الرقابة التي تراقب سير عمل المدرسة[76]، من مهامه الاخرى كان يقوم بزيارات إلى حوض بناء السفن واعطاء دروس عملية يومين في الاسبوع ويقوم بتدريس الجنود واعطائهم دروس حول المدفعية البحرية على متن الفرقاطة سليمية، فضلاً عن ذلك كانت من مهامه الرئيسة هو اعطاء دروس في كيفية الدفاع عن المضائق العثمانية والمناطق الساحلية في حالة الحرب المحتملة ومن مهامه ايضاً فحص السفن الحربية الموجودة لدى الدولة العثمانية[77]، بدأ كالاوفوم هوفي رفع التقارير للسلطان العثماني وكانت احد ابرز النقاط التي ذكرها في التقرير الاول إن المعدات الحربية البحرية التي تستخدم في الحرب المحتملة لم تكن محمية ومخزنة بطرق صحيحة[78]،

لذلك طالب بأغلاق لجنة المهمات الحربية بشكل تام وإعادة تشكيلها بعد تجديد مهامها وتوصيفاتها الوظيفية وقد اثار اقتراحه هذا الكثير من ردود الفعل المعارضة إلَّا انه قد تم قبول توصياته[79].

حصل على رتبة ميرلوا في 1 تموز 1892 واصبح يلقب بالباشا قدم تقريره الثاني إلى السلطان العثماني وشرح فيه وضع البحرية العثمانية وبين وجوب تثبيت المدافع والطوربيدات لحماية المضائق وطالب بإنشاء لجنة لمتابعة الامر[80]، وواصل كتابة التقارير ونقل وضع الاسطول والسفن بصورة واضحة إلى السلطان، إذ ذكر إن الاسطول البحري لا يزال كبيراً من حيث العدد إلَّا إن وظائفه غير كافية عند مقارنته بالأسطول الروسي العدو المحتمل حيث يبقى الاسطول العثماني بأكمله خلف الاسطول الروسي من حيث السرعة، وكانت النتائج التي توصل إليها مستندة على انه لم ينظر إلى عدد السفن وطرازها بل ركز على وزنها وسرعتها وسماكة درعها وتجهيزاتها القتالية وذكر ايضاً في تقريره إن اياً من السفن العثمانية لا تساوي سفينة روسية واحدة من حيث الهجوم والدفاع[81].

من خلال التقرير الذي ذكر يتضح إن البحرية العثمانية في حالة سيئة للغاية وإن الادارة العثمانية ركزت على الكم اكثر من النوع ولم تواكب التطور التكنلوجي المتسارع وهذا ألقى بضلاله على تردي اوضاع البحرية العثمانية وتأخرها.

بعد عرض نتائج المقارنات اشار كالاوفوم هوفي باشا إلى ما يجب القيام به بخصوص السفن العثمانية، إذ أوضح إن السفن المدرعة المتاحة تحتاج إلى التكيف مع الحرب الدفاعية وهذا لا يمكن تحقيقه إلَّا من خلال تجهيز السفن الحالية بأسلحة حديثة ويجب تدريب الطاقم المختص بها عن طريق ارساله في بعثات تدريبية إلى المانيا وإذا تم ذلك فإن البحرية العثمانية ستؤدي دورها في حال نشوب الحرب[82]، وأوضح إن البحرية العثمانية كانت تتحمل مسؤولية كبيرة؛ بسبب اتساع الساحل العثماني وكثرة الجزر التابعة لها فكان لابد من ايجاد حل لقضيتين مهمتين الاولى هو الدفاع عن العاصمة العثمانية والثانية كيفية حماية الجزر العثمانية عند الضرورة، مشيراً إلى انه من الممكن ان تعلن دول مثل روسيا وبريطانيا واليونان الحرب على الدولة العثمانية، ويؤكد على إن ضباط وجنود البحرية العثمانية اشخاص موهوبون إلا انهم كانوا بحاجة إلى تجارب وممارسة بحرية متنوعة في استخدام الاسلحة الحديثة والجديدة، وإن ذلك يتم تحقيقه من خلال الاستفادة الجيدة من وقت السلم، وإن تدريس المعرفة النظرية فقط لم يكن كافياً وإنما يجب ممارسة الانشطة العملية والمناورات البحرية في البحر[83].

إن الدولة العثمانية كانت تفتقر إلى المناورات البحرية الحربية خلال فترة السلم إذ لم تذكر المصادر قيامها بأي مناورة حربية في البحر، وهذا ما جعلها تعاني من التراجع المستمر.

ذكر كالاو فوم هوفي في تقريره الذي ارسله للسلطان العثماني والمؤرخ في 17 آذار 1893 إن الاهمية التي تولى للبحرية عن طريق توفير الجانب المالي فقط واقتناء مختلف انواع السفن والاسلحة بمختلف انواعها وعدم اعطاء اهمية لقدرة الضباط على استخدامها كان ينبئ بمستقبل سيء للبحرية عزا ذلك إلى جانبين الاول إن بقاء السفن عاطلة عن العمل في الميناء سيؤدي إلى توقف استخدامها وتهالكها رغم كل انواع الادامة، والجانب الثاني معنوياً سيفقد الضباط ثقتهم بأنفسهم بسبب عدم الممارسة والاختبار، واشار إلى إن التدريب الذي يتم في المدرسة البحرية لن يحقق الغرض، وأكد على ضرورة وجود سفينة تدريب مدرعة واحدة على الاقل مزودة بجميع انواع المعدات والاسلحة وتكون متحركة باستمرار في مياه البحر ويجب على الضباط الذهاب إلى هذه السفينة ضمن برنامج دوري منتظم[84].

طلب كالاوفوم في 18 آب 1893 الاذن بالذهاب إلى المانيا لمدة ستة اسابيع للمشاركة في المناورات البحرية التي تستمر لمدة شهر تقريباً للوقوف على آخر التطورات في مجال الاسلحة والمعدات البحرية الألمانية، ليكون على متن احدى السفن التي تشارك في المناورات لان المناورات تكون مفيدة من كل النواحي، وبعد عودته قدم ملاحظاته إلى السلطان بتقرير مؤرخ في 25 أيلول 1893 وتقرير آخر في 22 كانون الثاني 1894 وذكر فيه الاجراءات المتعلقة بالدفاع عن المضائق[85].

جدد كالاوفوم عقده ثلاث سنوات إضافية تبدأ من 23 شباط 1895 تزامنت مدة العقد الثانية مع دخول الدولة العثمانية في حرب مع اليونان عام 1897 وبعد انتهاء الحرب قدم ملاحظاته حول البحرية العثمانية إلى السلطان، وذكر ان هياكل السفن يمكن الاستمرار في استخدامها إذا تم تعزيزها وتحسينها وإضافة اسطح مدرعة وإصلاح آلاتها وتجهيزها وتجديد اسلحتها كما هو الحال في اساطيل الدول الاخرى، وإن تقوم الدولة العثمانية بشراء سفينة واحدة كل عام وبالتالي انشاء قوة بحرية مثالية في غضون بضع سنوات وتقرر بناء على التقرير المقدم احضار مهندس من المانيا لإصلاح السفن البحرية وإن يبدأ طاقم البحرية مناورات وتدريبات على الطريقة الحديثة كما وضعها كالاوفوم[86].

طلبت الدولة العثمانية في سنة 1899 شراء فرقاطة من امريكا لتعزيز قوتها البحرية، فما كان من كالاوفوم إلا إن عارض الأمر بكل قوة وعلل سبب ذلك إلَّى إن الفرقاطة لم تلبي الاحتياجات العاجلة، وإن الحاجة الفعلية هي شراء سفينة مدرعة للدفاع عن السواحل البحرية العثمانية وإن الفرقاطات قد تم بنائها لأغراض اخرى وإن تشكيل البحرية بهذه السفن فقط لم يكن سوى عبئاً على البحرية، واشتكى في تقريره الذي قدمه في 2 كانون

الأول 1899 من عدم تنفيذ العمل بالتقارير التي يرفعها واستمر بالعمل في البحرية العثمانية حتى نهاية عام 1902 ولم يجدد العقد مع الدولة العثمانية بناء على طلبه لأسباب صحية[87].

الخاتمة والاستنتاجات

يتبين من خلال ما تم ذكره حول ادوار الخبراء الاجانب في فترة السلطان عبد الحميد الثاني إن الخبراء البريطانيين هوبارت باشا والسير هنري فليكس وودز قد قدموا اسهامات قيمة للغاية في البحرية العثمانية ويتضح ذلك من خلال اندماج شخصية متمردة مثل هوبارت باشا بشكل سريع بالدولة العثمانية واخلص لها لدرجة انه عند الضرورة دافع عن مصالحها حتى امام بلاده الام، وودز باشا شأنه شأن هوبارت باشا حيث اعتبر نفسه مواطن عثماني وقدم كل ما في وسعه لصالح الدولة العثمانية، من خلال اهتمامهم بالمدرسة البحرية وادخال المناهج الدراسية الحديثة لمواكبت التطور العلمي ، فضلا عن ذلك الدور الفعال في تاسيس صناعة الطوربيدات التي اصبحت احد اهم الاسلحة البحية قبل الحرب العالمية الاولى ، وهنا نجد إن لشخصية السلطان عبد الحميد الثاني تأثير كبير من خلال الولاءات المفاجئة وغير المتوقعة لهؤلاء الخبراء حيث قام بمكافأة العاملين الجيدين بغض النظر عن جنسياتهم وأظهر اهتمام اكبر بالعمال الاكفاء.

ابتعدت الدولة العثمانية عن بريطانيا لأسباب سياسية واقترابها من المانيا ودخولها معها في علاقات واتصالات وثيقة تمت دعوة خبراء الألمان إلى الدولة العثمانية بدلاً من البريطانيين الاكفاء واصحاب الخبرة والكفاءة، حيث تمت دعوة ستاركي باشا وكالاوفوم، وقدموا الالمان اقتراحات للإصلاحات التي يجب القيام بها واطلعوا وزارة الشؤون البحرية بذلك بشكل متكرر واكدوا على ضرورة اتباع الخطوات الواجب اتخاذها إلا ان تأثير المدرسة الالمانية وجهودها بقيت على مستوى الورق فقط على شكل تقارير إذ فضّل الألمان كتابة التقارير والخطوات والواجب اتخاذها وترك مسؤولية التنفيذ على الإدارة العثمانية، وبسبب الظروف الاقتصادية المتدهورة والبنية التقليدية المتدهورة للدولة العثمانية لم يكن الانسجام بين اساليب العمل الخاصة بالخبراء الألمان والدولة العثمانية فعالاً للغاية، مما جعل فترة الخبراء الألمان اقل فعالية من فترة الخبراء البريطانيين.

. المراجع

([1]) اكمل الدين احسان اوغلو، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج2، نقله إلى العربية: صالح سعداوي، اسطنبول، 1999م ، ص421-423.

([2]) Kemal Beydilli, 111 Selim Aydinlanmiş Hükümdar Nizam- ı kadhim,den Nizam, Cedid'e III Selim Ve Dönemi, Istanbul 2010, S. 25-50.

([3]) A.E. S.52.

([4]) Yaşar Bedirhan And Figen Atabey, Osmahli Bahriyesinde Yabanci Dani Şsmanlar (1808-1918), Turkish Studies, International Periodical For The Languages, Literature And History Of Turkish Or Turkie Volume 8-5, Spring 2013, S. 128.

([5]) **بارون دي توت (Baron De Tott):** ولد في 17 اب 1733، كان والده اندراس توت نبيلاً مجرياً هاجر الى الامبراطورية العثمانية ثم انتقل الى فرنسا وعمل كضابط في الجيش الفرنسي الملكي، في عام 1742 انضم الشاب فرانسو دي توت إلى الجيش الفرنسي وشارك في حملات حرب الوراثة النمساوية، وفي عام 1755 ارسل إلى اسطنبول للتعلم اللغة العثمانية وجمع معلومات عن الامبراطورية العثمانية، وكان في الفترة التي قضاها في اسطنبول تأثير كبير على حياته المهنية، عاد إلى فرنسا عام 1763 وفي عام 1776 عيّن قنصلاً فرنسياً في شبه جزيرة القرم بمهمة سرية لتحريض التتار على شن حرب ضد روسيا، وبعد ذلك انتقل الى اسطنبول بعد ان انهى مهمته الاولى في القرم كلفته الحكومة العثمانية بالدفاع عن الدردنيل ضد الاسطول الروسي ولعب دوراً رئيساً في تحديث الجيش العثماني اثناء الحرب الروسية – العثمانية 1768- 1774 ونجح في بناء مصنع لصنع المدافع الفرنسية الحديثة وشارك في انشاء وحدة مدفعية متنقلة كما بنى تحصينات على مضيق البسفور واسس مدرسة للرياضيات والعلوم البحرية وفي عام 1775 عاد إلى فرنسا وارتبط بخطط الاستعمار ، 1777- 1787 زار المدن الساحلية حول سواحل البحر المتوسط ووضع خطط عسكرية لاحتلال مصر وبعد عودته إلى فرنسا كتب مذكراته التي نشرت لأول مرة في امستردام عام 1784 وفي عام 1785 تم تعيينه قائداً عسكرياً وحاكم مدينة في شمال فرنسا اثناء الثورة الفرنسية، انتقل الى سويسرا وبعدها الى المجر قبل وفاته في 24 ايلول 1793 في ناراسكا. للمزيد ينظر:

David Thomas And John Chesworth, Christion- Muslim Relations A Bibliographical History, Volume: 13, Western, Europe 1700-1800, Brill, Leiden Boston, 2019, P. 757.

([6]) Yaşar Bedirhan And Figen Atabey, A.G.E. S. 128.

([7]) A.E. S. 129.

(8) Hobart Push, Blockade- Running, Slaver Hunting, And War And Sport In Turkey, New Yourk, 1915, P. 9-10.
(9) Ibid. P.12.
(10) William Stewart, Admirals Of The World, A. Biographical Dictionary, 1500 To The Present, North Caroline, 2009, P. 167.
(11) Sir Henry F. Woods, Forty- Serve Years Under The Ensigns Of Great Britain And Turkey Vol: 1, London, 1924, P. 150-151.
(12) Hobart Pasha, Sketches From My Life, New York, 1887, P. 188.
(13) Selman Soydemir, Osmanli Donamasinda Yabanci Müşavirlerin Etkileri (18ve 19. Yüzyillar) Yayinlanmamlş Yükset Lisans Tezi, Istanbul Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, 2007, S. 72.
(14) **السير ادولفوس سلايد :** ضابط بحري بريطاني خدم كخبير في البحرية العثمانية خلال القرن التاسع عشر ، ولقب بالمشير باشا ،ولد عام 1804 و توفي 1877 ، عين خبيرا في البحرية العثمانية عام 1849 ، وبقى في الخدمة حتى عام 1866 ،ساهم بشكل كبير بتحديث الاسطول العثماني ، منحته الدولة العثمانية وسام المجيدية من الدرجة الثانية تقديرا لخدماته للمزيد ينظر :
A.k. Gokhan, Reform Efforts In The Ottoman-Turkish Maritime History: The Case Of Mushaver Pasha'adolphus Slade, Nisantasi University, December 2016, P.117-135.
(15) Hobart Pasha, Op .Cit. P.189-190.
(16) Sir Henry F. Woods, Op .Cit. P.151.
(17) Hobart Pasha,Blocade-Running, Op .Cit. P.191-193.
(18) Ibid.P. 193.
(19) Sir Henry f. Woods, Op .Cit. P.152.
(20) Selman Soydimir, A.G.E.S. 78-80.
(21) A.E. S. 83.
(22) Sir Henry, f. Woods, Op .Cit. P.154.
(23) Hobart Pasha, Op .Cit. P.211-213.
(24) Ibid.P. 217-220.
(25) **باتومي:** مدينة ساحلية في مقاطعة ابخازيا في جورجيا وتقع على ساحل البحر الاسود وتعتبر ثاني اكبر مدن جورجيا حالياً. تاريخ الولوج 1/9/ 2024 .
https://ar.m.wikipedia.org/wiki/
(26) Hobart Pasha, Op .Cit. P.218.
(27) Ibid.P. 223-226.
(28) **أوشامشير:** مدينة ساحلية تقع على ساحل البحر الاسود في ابخازيا بجورجيا حالياً. للمزيد ينظر: تاريخ الولوج 2024/11/1.
https://ar.m.wikipedia.org/wiki/
(29) Hobart Pasha, Op .Cit. P.230.
(30) Sir Henry f. Woods, Op .Cit. P. 156-157.
(31) Soliman Sydemir, A.G.E.S. 87.
(32) Sir Henry f.Woods, A.G.E.S. 158-160.
(33) Sir Henry f. Woods, Forty – Seven Years Under The Ensigns Of Great Britian And Turkey Vol: 1, London, 1924, P. 10-11.
(34) Sir Herny f. Woods Vol: 11, P. 268-273.
(35) Ibid.P. 274.
(36) Sir Henry f. Woods, vol: 1, P. 11.
(37) في تلك الفترة كان مضيق البوسفور يتسبب في فقدان الكثير من الأرواح والمعدات والممتلكات؛ بسبب الاحوال الجوية غير المؤاتية خلال أشهر الشتاء، وعرض وودز اقتراح هام للغاية من أجل حل المشكلة، إذ قدّم شرحه للحل على النحو الآتي "فكرتي هي تثبيت سارية ضوء (منارة) خارج المدخل مباشرة لتؤدي دور إشارة إلى المضيق" وبالتالي تعمل كمرشد بحري لعدم ارتطام السفن بالشاطئ الصخري وبالتالي غرقها فضلاً عن ذلك اقترح بناء ملاجئ مجهزة بالخدمات الطبية والمفروشات التي من شأنها انقاذ حياة من تتعرض سفينته للغرق على الشاطئ للمزيد ينظر:

Sir Henry f. Woods Vol: 11. P. 274-275.
([38]) Sir Henry F.Woods, Vol: 1. P. 12.
([39]) Sir Henry F. Woods, Vol: 11, Op .Cit. P.60.
([40]) Sir Henry F. Woods, Vol: 11, Op .Cit. P.61.
([41]) Suliman Souedmer, A.G.E. S. 98.
([42]) Suliman Soydimer, A.G.E. S. 99.
([43]) **ميناء الحديدة:** يقع ميناء الحديدة على ساحل اليمن الغربي المطل على البحر الاحمر ويعد اهم الموانئ اليمنية واكبرها ،ويتميز بموقعه القريب من مضيق باب المندب الذي يربط بين البحر الاحمر والمحيط الهندي للمزيد ينظر :سعيد الجلال ، الموانئ والجزر اليمنية عبر التاريخ ، دار الحكمة ،1999،ص78
([44]) **جزيرة كمران**: اكبر جزيرة يمنية في البحر الاحمر تقع قبالة الساحل الغربي لليمن بالقرب من مدينة الحديدة وتتميز بموقعها الاستراتيجي عند مدخل مضيق باب المندب ، جعلها موقعها المتميز محط انظار الدول الكبرى خلال القرن التاسع عشر والعشرين لأنها تتحكم في الملاحة البحرية ،وقاعدة بحرية لحماية البحر الاحمر، عام 1915 احتلتها بريطانيا واستخدمتها كقاعدة عسكرية للمزيد ينظر :المصدر نفسه ، ص115.
([45]) Sir Henrey F. Woods, Vol: 11, A.G.E. S. 66-70.
([46]) Ibid.P. 71-72.
([47]) Suliman Soldimer, A,G,E, Vol: 11, S. 100.
([48]) Sir Henry F. Woods,Vol:1, Op .Cit. P.76.
([49]) Sir Henry F. Woods, Vol: 11, Op .Cit. P.179.
([50]) Ibid.P. 80-81.
([51]) Ibid. P.83-84.
([52]) kamil Akar, lkincisi Abdülhamid Döneminde Osmanli Donanmas`Nda Yabanci Uzmanlavin Faliyetlri, Anadolu Dergisi, 1 Ağustos 2022, S. 61.
([53]) Sir Henry F. Woods, Vol: 11, Op .Cit. P.58.
([54]) Sir Henry F. Woods, Vol: 1, Op .Cit. P.86-87.
([55]) Soliman Soldmer, A.G.E. s. 110.
([56]) Sir Henry f. Woods, Op .Cit. P.36-40.
([57]) Soliman Soldimer, A.G.E. s. 111.
([58]) A.E. S. 112.
([59]) Yaşar Badirhan Vizyan Atobe, Osmanli Donamasin Daki Yabanci Danlş Manlar (1808-1919), S.132.
([60]) Selman Soydemir, A.G.E. S. 112.
([61]) Fahri Çoker, Osmanli, Bahriyesinde Ingilz Islah Heyetleri (1839-1914) Bahriyemzin Yakin Tarihinden Kesitler, Ankara, 1994, S. 168.
([62]) Selman Soydemir, A.G.E. S. 114.
([63]) Sir Hinry f. Woods, Op .Cit. P.274-286.
([64]) Selman Soydemir, A.G.E. S. 119.
([65]) Kemal Beydilli, 11 Abdülhamit Devrind Gelen Alman Askeri Heyeti Hakkind TD Sayi :32, Istanbul, Mart , 1979, S. 481.
([66]) Selman Soydemir, A.G.E. S. 115.
([67]) Selman Soydemir, A.G.E. S. 120.
([68]) DMA, MKT 430/243.
([69]) kamil Akar, A.G.E. S. 66.
([70]) A.E. S. 67.
([71]) Selman Soydimer, A.G.E. S. 121.
([72]) A.E. S. 122.
([73]) kamil Akar, A.G.E. S. 67.
([74]) Selman Soydmer, A.G.E. S. 126.
([75]) Jehuda L. Wallach, Bir Askeri yardimin Anatomisi: Türkiye`De Prusy A-Alman Askeri Heyetlevi 1835-1919, Çev, Fahri Çeliker, Ankara, 1985, S. 86-87.

(76) A.E. S. 87.
(77) kamil Akar, A.G.E. S. 68.
(78) DMA, MKT Belge No 746/42.
(79) DMA, MKT Belge No 739/30.
(80) DMA, MKT Belge No 733/6.
(81) Slman Soydemir, A.G.E. S. 129-130.
(82) kamil Akar, A.G.E. S. 69.
(83) Selman Soydemir, A.G.E. S. 130.
(84) Selman Soydemir, A.G.E. S. 131.
(85) A.E. S. 132.
(86) Selman Soydemir, A.G.E. S.135.
(87) Selman Soydemir, A.G.E.S.138.

المستخلص باللغة الانكليزية

Abstract:
The Ottoman Empire's Tendency To Rely On Foreign Experts Stemmed From The State's Scientific Poverty And Lack Of Reliance On Modern Sciences. It Had Not Kept Pace With The Pace Of Development, And Therefore The Ottoman Empire Was In Dire Need Of Their Expertise. Furthermore, The Ottoman Empire Was Trying To Win Britain's Favor To Stand By It In Confronting External Challenges. When It Felt That Britain Was Not Serious About Its Efforts, It Turned To Germany To Carry Out The Work. However, The Germans' Role Was Limited To Advisory Only. Therefore, The Foreign Experts Played A Dual Role, Primarily Serving Their Mother Country By Making Recommendations On Arms Purchase Contracts And Conducting Intelligence Work For Their Countries. This Became Clear when Britain objected to the appointment of Hobart pasha to the position without British Approval, which constituted a point of contention. Therefore, the role of foreign experts in the Ottoman Empire was based on interests rather than practical and service-oriented principles for the Ottoman Empire. Furthermore, The Ottoman Empire Attempted To Win The Favor Of The Major Powers By Bringing In Experts In Various Military Fields, Not Just Naval Ones.